

فضيلة الشيخ أسامة خياط في خطبة الجمعة : كان من صفات عباد الرحمن، التخلّص من المفاسد، والتجافي عن الشرور، حيث تنزّهوا عن الشّرك بآبٍ وقتل النفس التي حرّم الله قتلها والزّنا

أم المسلمين اليوم لصلاة الجمعة في المسجد الحرام إمام وخطيب المسجد الحرام الشيخ الدكتور أسامة بن عبد الله خياط، فتحدث في خطبته الأولى عن الاقتداء بالأخيار فقال: في الاقتداء بالأخيار، والتأسّي بالأبرار، واقتفاء آثار المتقين، والسير على منهاجهم، وسلوك سبيلهم: فوزٌ عظيم، ومغنى كريم، وسعادة لا نظير لها، ونجاح لا حدود ولا منتهى له، وفيما ذكره الله تعالى في كتابه، من توجيه الأنظار إلى مسلك الصّفة، ونهج عباد الرحمن، وسبيل البرّرة، ما يحقق هذه الغاية، ويبلّغ هذا المراد؛ إذ هو المثال الذي يُحتذى، والنهج الذي يقتدى.

من ذلك قوله عزّ اسمه: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾، إنهم يمشون على هذه الأرض: مِشْيَةَ الْمُؤْمِنِ الذي تعلوه السكينة ويزيّنه الوقار، لا يتكبّر ولا يتجبر، لا يريد علوًّا في الأرض ولا فسادًا، وإذا بسط إليهم الجاهلون ألسنتهم بالسوء، لم يقابلوا ذلك بمثله، بل بالعفو والصفح والمغفرة، والإغضاء عن الزلات، والتجاوز عن الهفوات؛ فَهْمٌ كما قال الحسن البصري -رحمه الله-: "علماء لا يجهلون، وإن جهل عليهم لم يجهلوا".

هذا نهارهم -يا عباد الله- فكيف ليلهم؟ إنّه خير ليل، إنّه ليل أبيض مضيء بألوان الطاعة، يزدلفون بها إلى مولاها، : ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾، صفّوا أقدامهم، وأجرّوا دموعهم، واتصل نشيجهم، يحذرون الآخرة ويرجون رحمة ربهم، ضارعين إليه: ﴿رَبِّ بَنَدًا اصْرَفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّا عَذَابُهَا كَانُ غَرَامًا﴾، أي: لأنّه كان هلاكًا دائمًا، وخسرانًا ملازمًا ﴿إِنَّ زَهْرًا سَاءَتْ مَسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾.

وفي هذا من المدح لهم والثناء عليهم ما لا يخفى، ذلك أنّهم مع حسن معاملتهم للخلق، وشدة اجتهادهم في عبادة الخالق وحده لا شريك له، يخافون أن ينزل بهم عذابه، فيبتهلون إليه أن يصرفه عن ساحتهم، غير آبهين ولا ملتفتين إلى جميع أعمالهم، وعظيم رصيدهم منها.

وأما في إنفاقهم على أنفسهم وأهلبيهم، فلا قد سلكوا فيه أعدل السبيل، ونهجوا فيه أقوم الطرق،

﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ ، فكان وسطًا عدلًا لا تبذير فيه ولا تقتير؛ فلم يكونوا مبذرين شأن أولئك الذين يولعون بمظاهر البذخ، ولم يكونوا كذلك مقترين شأن أولئك الذين يقبضون أيديهم عن واجب النفقات، ويشحون بالمعروف، ويبخلون بما آتاهم الله من فضله؛ لأنَّ من شأن الإسراف استنفاد المال في غير مواضعه، فينقطع الإنفاق وتذبل زهرته، ولأنَّ من شأن الإقتار إمساك المال فيحرم مستحقه.

وتحدث فضيلته عن صفات عباد الرحمن فقال : ولقد كان من صفات عباد الرحمن أيضًا، التخلُّي عن المفسد، والتجافي عن الشرور، حيث تنزَّهوا عن الشُّرك بالله وقتل النفس التي حرَّم الله قتلها والزَّنا، جاء ذلك في قوله عزَّ من قائل: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾.

إنَّه إخلاص الدين لله، وصرف جميع أنواع العبادة له وحده دون سواه؛ فلا يدعون في الشدائد إلا إياه، ولا يسألون العون ولا يرجون العوث ولا يطلبون المدد إلا من الله، ولا يعتمدون في كل شأن من شؤونهم إلا عليه سبحانه، ولا يخشون أحدًا إلا الله.

وذلك هو التوحيد الخالص، والإيمان الكامل، الذي رفع الله به أقوامًا فجعلهم في الخير قادة، وخص به أقوامًا نبذوه واتخذوه وراءهم ظهريًّا، فحق عليهم وعيد الله لهم بقوله: ﴿إِنَّ زَنْزَنَةً مِّنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَذَّابٌ كَذَّابٌ﴾ * الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ لِطُلُوعِ النَّجْمِ مِنَ الْأَنْصَارِ﴾.

واختتم فضيلته خطبته الأولى بنصح المسلمين بالافتداء بالصفوة الأخيار فقال: واعملوا على الافتداء بالصفوة والتأسُّي بالأخيار، وسلوك مسالكهم، واقتفاء آثارهم، والتخلُّق بأخلاقهم؛ فإنَّهم كانوا على هدى وطريق مستقيم، ﴿فَيَدَّبُّهُمْ عِبَادُ * الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ الْأَقْدَابَ﴾.

وتحدث فضيلته في خطبته الثانية عن أقسام أهل العلم فقال: لقد قسم الله أهل العلم الصفات التي وصف الله بها عباد الرحمن في ختام هذه السورة العظيمة "سورة الفرقان" إلى أربعة أقسام: قسم منها هو من التحلُّي بالكمالات الدينية، وهي التي بُدئ بها من قوله سبحانه: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْسُحُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ إلى آخر الآية.

وقسم هو من التخلّص من ضلالت أهل الشرك، وهو من قوله عزّ اسمه قائل: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ الآية

وقسم هو من الاستقامة على شرائع الإسلام، وهو قوله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾ ، وقوله: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا﴾ ، وقوله: ﴿وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ﴾ إلى قوله عزّ اسمه: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾.

وقسم من طلب الزيادة في صلاح الحال في هذه الحياة، وهي قوله سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْ لَنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾.

واختتم فضيلته خطبته الثانية بنصح المسلمين بالتأمل في الصفات الكريمة فقال : وأكثرُوا من التأمل في هذه الصفات الكريمة، والسجايا العظيمة، ومن دوام الحرص على التخلّص بها، والتخلّص عما يضادها؛ ففي ذلك الفلاح والفوز والنجاة: ﴿أُولَئِكَ يَجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَاقَوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا * خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ لَهُمْ مَا صَبَرُوا عَلَيْهِمْ﴾.